

ان ارجاعهم . عليهم السلام . الاصحاب بعضهم الى بعض في أمورهم من التعلّم و القضاء و غيرها كان من تدابيرهم و سياستهم أمور الشيعة الحقّة مع طول الزمن من عصر الحضور و الغيبة و تفرّقهم في الأمصار و شتات البلاد. و لهذا الأمر العظيم اقتضاءات وراء اقتضاء رجوع عامي الى مقلّده بكثير جدّاً . و عليه لو افترضنا ان الاصحاب لم يكونوا من جهة الرجوع الى الاعلم في ضيق و تعسير قضية كلية و بنحو المائة في المائة لمصالح اقتضته فهل يصح القول بعدم لزوم الرجوع الى الاعلم في موضع فقد هذه المصالح بل و وجود مصلحة او مصالح في الرجوع الى الاعلم؟! ففي القياس خلط بين الزمنين و ظاهرتين مختلفتين و الظروف التاريخية و هو لا يصحّ مع وقوعه كثيراً! ..

• و من الردود الواردة على التمسك باطلاقات ادلة التقليد من الآيات بغية اثبات القول بعدم وجوب التقليد من الاعلم؛ النقاش الكلي في التمسك باطلاقات الآيات مع انك تعرف ان في ذلك خلافاً عميقاً على وجه قد يكون لواحد منهم رأيان او اكثر في المسألة و نحن و ان كتنا على رأى التفصيل و لكن المورد من مواضع انكارنا و نقاشنا عليه^١.

و من الذى يجب الالتفات إليه ان الادلة الشرعية من القرآن و الروايات الهادية الى ظاهرة عقلية او عقلائية تتبّع في دلالتها و اطلاقها و تقيدها الظاهرة المهدي اليها و من الواضح ان قضية النفر و السؤال من اهل الذكر و التقليد ظواهر عقلية و عقلائية فلا مجال لدعوى الاطلاق في دلالة أسنادها وراء دلالة العقل و بناء العقلاء كما لامجال لانكار اطلاق كان في أسنادها. و لعمري ان هذا الاصل و الالتفات من مهمات الاستنباط بالمعنى الاخص و بالمعنى الاعم.

• و

و اما الثاني (النقد منهجاً) فللكلام معهم . قدس الله أسرارهم . مجال واسع.

توضيح ذلك : قد عرفنا بما مرّ ان لكل من الرأيين . او الآراء . في المسألة . ادلة و وجوهاً يستند أصحابها اليها مع إرداف نقاشات على ادلة رأى الآخرين و كان كل حزب بما لديهم فرحون من دون ان تقلع مادّة الخلاف و اختتمت و فصلت به الخصومة و الكلام. و المنهج الصحيح للبحث و الجدل في امثال ذلك: ملاحظة مجموعة الأسناد و الأرضيات و الواقعيات للوصول الى قرار في المسألة و لا تصح بوجه ملاحظة كل دليل على وجه الاستقلال من دون النظر الى جعله في نظام متعاقد حلقوى كما هو العرف و العادة في الاجتهاد الرياضى المحض في مقابلة الاجتهاد بتجميع الادلة بل والوجوه و المؤيّدات^٣ للوصول الى شىء يستقرّ عليه.

١ . يعبر عنه في لغة الفرس ب «زمان پريشى» و في الفرنسية ب «Anachronisme» ، و في العرب بمثل «المفارقة التاريخية».

٢ . لاحظ كتابنا « فقه و حقوق قرارداها - ادله عام قرآني » (فارسية)، صص ٤٩٧ - ٥١٥.

٣ . بحثنا عن ذلك على وجه البسط و التفصيل في كتابنا بالفارسية : «روش شناسی اجتهاد، مطالعه جريانی مکاتب اجتهادی معاصر»؛ لاحظ على العجالة مقالتنا الموسومة بالفارسية : «مقایسه روش اجتهادی صاحب جواهر و محقق خوي»، جستارهای فقهی - اصولی (جملة فصلية) ، الرقم : ١٩ ، الصيف ١٣٩٩ ش .

و ثمرة ذلك ان الباحث لا ينظر الى الادلة . و لاسيما ما مرّ من الادلة التي قيل بدلالاتها على لزوم الرجوع الى العلم . متفرقا و على وجه التجزئة و التفكيك كما لا يناقش عليها من ناحية ضعف أسناد بعضها و لا يبحث عن الفاظها حرفياً و نصّاً بل ينظر الى مفادها مجموعيّةً و محتواها كليّةً الى هدايتها الى واقعيّات لامفرّ الا الى قبولها . و كم فرق بين هذا المقال مع ما صنعه مثل السيد الخوئي في سلوكه مع بعض الادلة . لاحظ :

« و «منها» : ما رواه في البحار عن كتاب الاختصاص قال : قال رسول الله . ص . من تعلم علماً ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو يصرف به الناس إلى نفسه يقول : أنا رئيسكم فليتبوء مقعده من النار، إن الرئاسة لاتصلح إلا لاهلها فمن دعى الناس إلى نفسه و فيهم من هو اعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة .» .

و هذه الرواية لو لم تناقش في دلالتها بانها راجعة إلى دعوى الخلافة فانها الرئاسة التي لاتصلح إلا لاهلها، و إلا فالرئاسة المجردة عن دعوى الخلافة و الامامة لايشترط فيها الاعلمية بوجه فهي من الاحاديث النبوية الواصلة إلينا مرسلّة و المراسيل غير صالحة للاعتماد عليها أبداً.

و «منها» : ما رواه ايضاً في البحار عن الجواد . ع . أنه قال مخاطباً عمه : يا عم إنه عظيم عندالله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك : لم تفتى عبادى بما لم تعلم و في الامة من هو أعلم منك . و هذه الرواية و ان كانت تدل على اعتبار الاعلمية المطلقة في المفتى الا انها ضعيفة سنداً لارسالها به اذاً لايمكن الاستدلال بها بوجه، فالاستدلال بالاخبار ايضاً ساقط»^٤.

اقول : كانه . قدس سره . يلقي ان مثل هذه الروايات في اثبات مرامها متوقفة على تمامية السند و ان مضمونها غير مكرّر في غير هذه الروايات ! و ان بعض الرئاسات لو كان مرخصاً فيه لبعض من هو غير اعلم لمصالح اقتضته لانهدمت به اركان اصل كلّ من اعتبار الاولوية و الأعلمية ! و كل هذه من عجائب الدعاوى ! . فتأمل تعرف .